عدد ٤٤ — السنة الثانية

المنار
١٣١٥

﴿ مصر في يوم السبت ١٢ رمضان سنة ١٣١٧ — ١٣ يناير (كانون ٢) سنة ١٩٠٠ ﴾

﴿ اقتراح على السادة العلماء ﴾
(في تقويم اعوجاج الوعاظ والخطباء)

﴿ لحضرة الكاتب الفاضل صاحب الامضاء ﴾

ماأصيب الاسلام بآفة كآفة الخطباء وما أضر بالمسلمين كوعاظهم الجهلاء الذين كانوا ولم يزالوا سببا لحيرة العقول في ادواء هذه الامة وهم مصدر البلاء وسبب الشقاء بما يتلونه على مسامع العامة من السجعات المقلوبة والاحاديث المكذوبة الداعية الى استدراج العامة في الشرور اعتمادا منهم على مايسمعونه من أولئك الوعاظ والخطباء من الاكاذيب المضلة كقولهم من قرأ كذا فله من الثواب كذا وكذا ومن صام اليوم الفلاني مثلا فله من الحسنات كذا ومن فعل كذا غفر الله له ماتقدم وما تأخر من ذنبه فانتزعوا بهذا (الاطلاق المجمل) وأشباهه باعث الرهبة من أعماق القلوب ونزعوا وازع الضمير من نفوس العامة فبات أحدهم يقدم على جريمة الكذب والتزوير أو السرقة أو الفحش ونحو هذا في الظهر ثقة بما سيناله من الثواب والغفران بتلاوة بعض كلمات في العصر فينام ليله مطمئن القلب الى الثواب غير مرتاع الفؤاد من

سوء المآب. وهذا ما أوصل الامة الى ما تراها فيه من فساد الاخلاق والضمائر واجتراح الآثام والجرائم حتى كادت تكون أحط الامم في الاخلاق وأبعدها عن مراعاة حاكم الضمير بما فشا في كثير من طبقاتها من القول الزور والكذب وعدم المبالاة باكبر الكبائر بعد ان كانت أعلى الامم وأعرقها في طيب الاخلاق وأدناها من الانقياد لحكم الضمير ومراقبة الله العزيز القدير في سائر الاعمال وكل الاحوال. ولعمري لو قيل للناس ان القانون السلطاني يرتب على السارق جزاء كذا وكذا مدة في الحبس لكن من تقرب الى السلطان بهدية لطيفة أو تزلف اليه بدعاء بسيط يدعو به له بين يديه يعفو عنه ويغفر له جريمته لاصبح الناس كلهم لصوصا

فحتام يترك هذا الحبل على الغارب ومتى نستيقظ لما فعلته في النفوس سموم الخطباء والوعاظ واوضاع الوضّاع وفتن المبتدعين فقد والله تكاد تنفطر من عقلاء هذه الامة القلوب وتتصاعد أرواحهم مع الانفاس لما يرونه من آثار هذه البدع التي عفت دونها آثار الاسلام وتلاشت قوى الصادعين بالحق

ولم يكف أولئك الاغرار الضالين هذا الوهن الذي يدخلونه بامثال تلك المواعظ والخطب على النفوس حتى زادوا فى طين البلاء بلة بما يبدؤن به العامة عند كل دعاء لهم ويتلونه عليهم في رأس كل خطبة من الحث على الزهد وترك الاهتمام بامر الدنيا بجمل مسجعة لا تفيد معنى الزهد الحقيقي المنصوص عليه في الشريعة الغراء بل تفيد التحاق الانسان بالبهيمة العجماء وقد فات أولئك الاغرار ان الله سبحانه وتعالى لما خلق الانسان وميزه بالعقل والارادة على سائر الحيوان وجعله خليفة في الارض بما منحه من حق السلطان المطلق على هذا الوجود الحسي فقال تعالى (الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك

فيه بامره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وسخر لكم مافي السموات وما في الارض جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) لم يكن يريد به مايريده له أولئك الوضاع والخطباء وأصدقاء الاسلام الجهلاء من التجرد عن كل عمل دنيوي والقعود عن السعي والانقطاع للعبادة للالتحاق بعالم الملائكة الابرار ولو أراد الله به هذا لخلقه معهم وكفاه مؤنة جهاد الطبيعة والعمل لحفظ الحياة فلا يلبس ولا يأكل ولا يشرب ولا يشقى ولا يتعب ولكن قضت ارادة الله تعالى في خلق هذه العوالم وترتيبها على نمطها البديع ان يكون كل عالم منها ذا حياة خاصة وحيز مخصوص وعمل محدود ووظائف خاصة فللملائكة من هذه الخصوصيات غير ماللانسان وللانسان غير ماللحيوان ولهذا غير ماللجماد وهكذا سائر العوالم . واذا تتبعنا نصوص الكتاب الكريم واستقرينا أحوال المخلوقات نجد ان الله سبحانه وتعالى ميز الانسان عن سائر مخلوقاته بما وهبه من المواهب التي لم يهبها لسواه فقال تعالى (خلق الانسان علمه البيان) وقال تعالى (علم الانسان مالم يعلم) وقال تعالى (ولقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم) وقال تعالى « وهديناه النجدين » وقال تعالى (وعلم آدم الاسماء كلها) فاذا كان الله سبحانه وتعالى وهب الانسان كل هذه المواهب الدالة على تكليفه بالعمل بما يقتضيه وجودها فيه ثم جعله خليفة في الارض وأشار الى انه أوجده فيها ليعمرها فقال تعالى (واستعمركم فيها) وذلك لتكون مناط الامل في الاعتياش بالعمل فيها والضرب في أكنافها كما قال تعالى (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) وكما قال تعالى « الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » وكما قال تعالى (ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها)

فهل في طاقة البشر الانسلاخ عن هذه المواهب والصفات الانسانية والتخلف عن تلك السنن الالهية زهداً في الدنيا وتعطيلا لوظائف الحياة البشرية ؟ واذا كان في طاقتهم تعطيل هذه الوظائف وعطلوها أفلا يكون ذلك كفرا منهم بنعم الخالق تعالى التي أنعم عليهم بها وخصهم بمواهبها ؟ بلى وأبيك ذلك هو الكفران المبين ولكن أكثرهم لا يعلمون

نعم قد ذم الله تعالى الغرور بالدنيا والطمع فيها والاكثار من المال أو التكاثر به وما جاء من النصوص في الكتاب والسنة من هذا القبيل انما جاء لا لاجل تزهيد المسلمين في الدنيا وتركهم الاهتمام بشؤون الرزق والسعي في مناكب الارض بل جاء لامرين الاول تنبيه المسلمين الى ان العمل في الدنيا لا ينبغي ان يشغل المؤمن عن طاعة الله واداء ما أوجبه من العبادة عليه والامر الثاني تنبيه فئة مخصوصة من الناس وهي فئة الاغنياء وذوي السلطة الى ان متاع الدنيا أحقر وأدنى مما أعد للمؤمنين الصالحين في الآخرة وان الامر الاول يزول ويفنى والثاني يدوم ويبقى ترغيبا لهم في انفاق المال في وجوه البر ومواساة من دونهم من الناس حتى لا يكثروا من المال ويجعلوه دولة بينهم يتكاثرون به ويتداولونه دون الفقراء فتقف حركة الاعمال بوقوف حركة المال وفقده من أيدي الكثير من الناس فحكمة الشارع في هذا أجلّ وأعظم مما يذهب اليه فريق الوضاع والكذابين في أمر الزهد وما يخاطبون به العامة ويبثونه في عقولهم من فاسد الاعتقاد المثبط للهمم القاتل لقوة النشاط والعمل الجالب للبلادة والكسل لهذا كان من الظلم الفاحش والجهل العظيم مخاطبة أولئك الخطباء عامة الناس بالزهد في الدنيا والتزهيد بالعمل الذي هو وسيلة الكسب ومناط الارتزاق وانما يجوز مخاطبة العلية من الناس والاغنياء

منهم بهذا أولا لما فيه من الترغيب بمواساة الفقراء والتحذير من عاقبة الانهماك بالمال والاشتغال به عن اداء الطاعة وثانيا لان الزهد انما يكون بشيء موجود لا بشيء مفقود فالغني اذا زهد فانما يزهد بدنيا مقبلة عليه فيواسي بماله من هم في دنيا مدبرة عنهم فينال الثواب ويأمن من العقاب . وأما الفقير فزهده ليس فيه شيء من ذلك بل فيه مضرة عليه فيحرم عليه قطعا لان الفقير المعدم زاهد بالضرورة لقلة مابين يديه فاذا زهّد بلسان الشرع ازداد يقينا بفضل الزهد والراحة من عناء الكد بالانقطاع الى العبادة (اللهم اذا كان يعرف شيئا منها) فتنعدم منه الرغبة بالعمل وينطبع على البلادة والكسل فينقلب الزهد والعبادة وبالا عليه وظلما لمن يعول من الاهل والولد عليه وهو لا يعلم ان السعي في اعالة من يعول ولو نفسه وحدها هو أفضل عند الله ورسوله من الانقطاع للعبادة باتفاق النصوص واجماع هداة الامة من علمائها الاعلام

الزهد من شعار الانبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام ومع ما كان معروفا به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم من الزهد في الدنيا بحذافيرها فقد كان من صحابته الكرام الغني ذو الثروة والجاه كطلحة والزبير والتاجر المشتغل كعثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين فلم يأمرهم بترك الدنيا والانقطاع للآخرة بل أمرهم بالرفق في الطلب والا لكان الصحابة كلهم عبادا بالجوامع والصوامع ومعاذ الله ان يكونوا كذلك والاسلام دين العمل للدنيا والآخرة ودين الجد والنشاط لا دين الرهبانية والزهد وانما تبع قدم الرسول في أمر الزهد أفراد منهم مثل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ومع هذا فقد كان يقول (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد علمتم ان السماء

لاتمطر ذهبا ولا فضة) فاذا كان مثل عمر بن الخطاب على ورعه وزهده يخاطب الناس بمثل هذا الخطاب وهو في عصر النبوة وأدرى بمن يخاطب ولماذا يخاطب فليت شعري كيف يجرأ خطباء السوء في هذا العصر على مخاطبة العامة بالزهد والتزهيد في الكسب ونحن في عصر أصبح فيه السابقون هم الفائزين وفي زمن من نام فيه فقد مات

أقلم يأن لعلماء المسلمين الاعلام وفضلائهم الكرام ذوي العقول والافهام الاقتداء بمثل عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه في حث الناس على العمل والسعي ونهى خطباء السوء عن التشدق على المنابر بما لايزيد المسلمين في هذا العصر الا خبالا . نعم قد آن والله أوان نهوض العلماء الى تلافي خطب الخطباء ونزع وظيفة الخطابة والوعظ من الجهلاء ووضعها في أناس جمعوا بين المنقول الصحيح والمعقول الصريح وعرفوا حاجات الزمان ووقفوا على أدواء الامة وان لم يتيسر هذا فتنقيح كتب الوعظ ودواوين الخطب المحشوة بالكذب على الله والرسول الموضوعة على نمط روعي فيه السجع أكثر من مراعاة الشرع وامتزج بالخيالات والاوهام أكثر مما أبان من مقاصد الاسلام

يحسدنا الامم والشعوب على مشروعية الخطابة في الاسلام ويعجبون من أمة تتلى على منابرها في كل جمعة آلاف من الخطب في سائر أنحاء الديار الاسلامية وهي لاتنفع بهما فتخطو خطوة الى الامام واذا تيسر لفرد من أفراد أى أمة من تلك الامم والشعوب ان ينتهز في العمر فرصة يخطب فيها خطبة على جمهور من الناس في محفل من المحافل يرن صداها في الآفاق وربما أحدثت في الافكار مالا تحدثه الجيوش الفاتحة في الامصار ويتساءلون . هل علت مشروعية الخطابة في الاسلام عن أفهام المسلمين ؟

أم هم تدنو عن مقاومة المليّ المتين؟ وحقهم ان ييئسوا لوا فانا لله وانا اليه راجعون اه

رفيق العظم

﴿ الصيام والتمدن ﴾

٢

﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون ﴾

ذكرنا في المقالة الاولى من فوائد الصيام صحة البدن بترويضه وصحة النفس بتأديب الشهوة وامتلاك زمامها بحيث يصير الانسان حاكما على شهواته يسيّرها في منهاج الأدب والشرف الذي يحدّده الشرع والعقل لامحكوما بها كالبهم والدواب . بل الانسان يكون شرا من البهائم اذا هو لم يؤدب شهوته ويملك على نفسه أمرها لأن باريء الكون قد أودع في فطرة البهائم الوقوف عند حدود الاعتدال في تناول شهواتها فلا تأكل ولا تشرب ولا تسافد الا عن داعية الطبيعة ومتى استوفت طبيعتها حقها من ذلك تكف عنه من طبعها ولا تحمّل أنفسها بالافراط مالا تطيق ولا تتخذ الوسائل والحيل لاذكاء نار الشهوة فتمتع بأكثر مما يقتضيه المزاج المعتدل فيقضي عليها قانون (رد الفعل) بعد ذلك بالضعف أو الخمود . وخلق الله الانسان ذا فكر يجاهد به الطبيعة ويقاومها تارة بما ينفعه وتارة بما يضرّه تختلف أحواله في هذا بحسب صحة الفكر وسقمه وسعة المعارف وضيقها . ألم تر ان اكثر مايصيب الانسان من الامراض والاسقام والادواء التي تنتهي بالموت قبل بلوغ العمر الطبيعي هو من الافراط في الطعام او الشراب او الوقاع الذي يستعين عليه بما يعطيه الفكر من الوسائل والحيل . بالامس اختطفت المنية شابا في ريعان الصبا وعنفوان الشباب فبقر الاطباء بطنه وحللوا امعاءه فتبين لهم انه مات مسموما بالاكثار من علاج تناوله لتقوية الباه — مسلم فعل هذا في شهر الصيام وزمن تأديب الشهوة فانا لله . والبهائم تستوفي آجالها الطبيعية في الغالب متمتعة بالصحة واعتدال المزاج واذا عرض لبعضها المرض أو الموت قبل الاجل الذي خلقها الله تعالى مستعدة لبلوغه فانما يكون ذلك في الغالب لامر خارجي كفقد الغذاء أو شدة البرد .

لهذا كانت سعادة الانسان متوقفة على تربية صحيحة وتعليم قويم ولا يوجد هذان على